7

اخْتِبَارُ الْعَقْلِ

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقص
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى



طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كَانَ امْرُؤُ الْقَيْسِ شَاعِراً منْ أشْهَرِ وأشْعَرِ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .. وقَدْ عُلِّقَتْ إحْدَى قَصَائِدِه عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ ، وصَارَتْ مِنْ أشْهَرِ الْمُعَلَّقَاتِ .. وقَدْ قَضَى الشَّطْرَ الأكْبَرَ مِنْ حَيَاتِه هَائِمًا عَلَى وَجْهِه ؛ بَعْدَ أنْ طَرَدَهُ أبُوهُ لِلَهْوِه ومُجُونِه .. وقَضَى الشَّطْرَ الآخَرَ مِنْ عُمْرِه هَائِمًا عَلَى وَجْهِه أيضًا ، حَتَّى يَثْأرَ لأبِيهِ الَّذِى قَتَلَهُ ابْنُ حُجْرٍ الكِنْدِيُّ مَلِكُ بَنِى أسَدٍ ، واغْتَصَبَ مُلْكَهُ ، لكِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أنْ يُدْرِكَ ثَأرَ أبِيهِ ، أوْ يَسْتَعِيدَ مُلْكَهُ ، وقَدْ سُمِّيَ الْمَلِكَ الضِّلِّيلَ ..

وكَانَ امْرُؤُ الْقَيْسِ قَدْ أَقْسَمَ ألا يَتزَوَّجَ امْرَأَةً حَتَّى يَخْتبرَ عَقْلَهَا وَذَكَاءَهَا وفِطْنَتَهَا وفِرَاسَتَهَا .. وقَدْ أعدَّ اخْتِبَارًا لذَلكَ ، وراحَ يُجَرِّبُه عَلَى كُلِّ امْرَأةٍ يَتقَدَّمُ لخِطْبَتِهَا ، فلَمْ تَنجَحِ امْرَأةٌ واحِدَةٌ فِى ذَلكَ الاخْتِبَارِ ..

وذَاتَ يَوْمٍ كَانَ امْرُؤُ الْقَيْسِ مُجْتَمِعًا فِى سَمَرٍ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أصْدِقَائه ، فقَالَ لَهُ أحَدُهُمْ :

ـ قَدْ أتْعَبْتَنَا وحَيَّرتَنَا مَعكَ يَا امْرَأَ الْقَيْسِ .. كُلَّمَا خَطَبْنَا لَكَ وَاحِدَةً مِن نِسَاءِ الْعَرَبِ لَمْ تُعْجِبْكَ ، بِرغْمِ مَا تَتَمَتَّعُ بِهِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ عِزٍّ وَحَسَبٍ وَجَمَالٍ وَنَسَبٍ !!



وقَالَ آخَرُ مَازِحًا :

ـ هَذِهِ هِيَ عَادَةُ الشُّعَرَاءِ ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .. دَائمًا يَهِيمُونَ فِي الْخَيَالِ ويَجْرُونَ وَرَاءَ الْمُحَالِ ..

فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ أنَا لا أطْلُبُ الْمُحَالَ ، ولاَ أهِيمُ وراءَ الخَيَالِ ، كَمَا تَظُنُّونَ يا إخْوَان ..

فقَالَ صَدِيقٌ ثَالِثٌ :

ـ ومَاذَا تُسَمِّي رَفْضَكَ الزَّوَاجَ مِنْ كُلِّ مَنْ رُشِّحْنَ لَكَ ؟!

فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

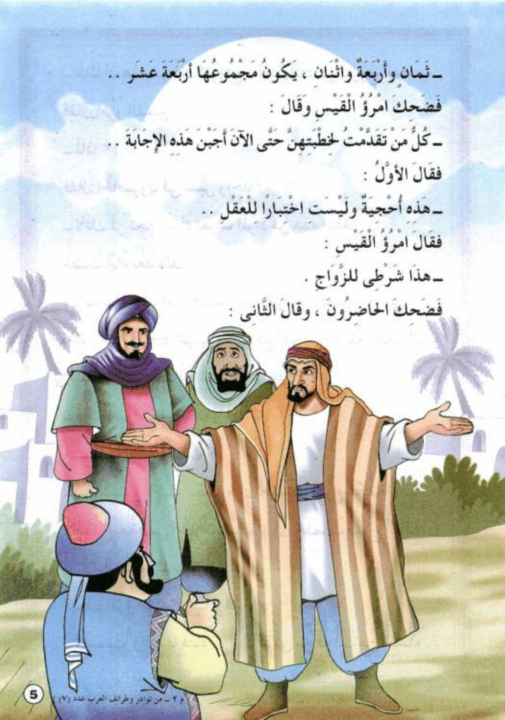
ـ لقَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وأقْسَمْتُ عَلَى ذَلِكَ أيْمانًا مُغَلَّظَةً ، ألا أتزوَّجَ امْرأةً حَتَّى أسْألَهَا عَنْ ثَلاثَةِ أشْيَاء ، فَإنْ عَرفَتْهَا تزَوَّجْتُها ، وَإلا فَلاَ وَألْفُ لا ... ، فقَالَ صَدِيقٌ رَابِعٌ :

ـ ومَا هِيَ هَذِهِ الأشْيَاءُ الثَّلاثَةُ يا امْرَأَ الْقَيْسِ ؟!

فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ هِيَ ثَمَانٍ وأرْبَعَةٌ واثْنَانِ ..

فَنَظَرَ الأصْدِقَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وقَالَ أحَدُهُمْ مُسْتَخِفًّا :



ـ ثَمَانٍ وأَرْبَعَةٌ واثْنَانِ ، يَكُونُ مَجْمُوعُهَا أَرْبَعَةَ عَشَر ..

فَضَحِكَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَقَالَ :

ـ كُلٌّ مَنْ تَقَدَّمْتُ لِخِطْبَتِهِنَّ حَتَّى الآنَ أَجَبْنَ هَذِهِ الإِجَابَةَ ..

فَقَالَ الأَوَّلُ :

ـ هَذِهِ أُحْجِيَةٌ وَلَيْسَت اخْتِبَارًا لِلْعَقْلِ ..

فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ هَذَا شَرْطِي لِلزَّوَاجِ .

فَضَحِكَ الحَاضِرُونَ ، وقَالَ الثَّانِي :

ـ طَالَمَا أنَّ هَذَا شَرْطُكَ لِلزَّوَاجِ ، فَثِقْ بِأنَّكَ لَنْ تَتَزَوَّجَ أبَدًا ..

فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ لِمَاذَا ؟!

فقَالَ الْحَاضِرونَ فِى نَفَسٍ وَاحِدٍ :

ـ لأنَّكَ لَنْ تَجِدَ امْرأةً تعْرِفُ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الألْغَازِ ..

مَضَتْ أيَّامٌ بَعْدَ ذَلِكَ ..

وَذَاتَ لَيْلَةٍ كَانَ امرؤُ الْقَيْسِ مُسَافِرًا فِى الصَّحْرَاءِ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ ، فَقَابَلَ رَجُلاً عَرَبِيًّا يَسيرُ مَعَ ابْنَةٍ لَهُ جَمِيلَةٍ كَأنَّهَا الْبَدْرُ فِى لَيْلَةِ تَمَامِهِ ، فَحَيَّاهُ ، ثُمَّ سَألَ الْفَتَاةَ قَائلاً :

ـ مَا ثَمَانٍ وأرْبَعَةٌ واثْنَانِ يَا فَتَاةُ ؟!

فَتَبَسَّمَتِ الْفَتَاةُ وَقَالَتْ :

ـ أمَّا الثَّمَانِى فَأطْبَاءُ الْكَلْبَةِ (أىْ حَلَمَاتُ ضَرْعِ الْكَلْبَةِ) ..

وأمَّا الأرْبَعَةُ فَهِى أخْلاَفُ النَّاقَةِ (أىْ حَلَمَاتُ ضَرْعِ النَّاقَةِ ..

وأمَّا الاثْنَانِ فَهُمَا ثَدْيَا الْمَرْأةِ ..

فَهَتَفَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَصَاحَ فَرِحًا :

ـ أحْسَنْتِ واللَّهِ يَا فَتَاةُ .. أنْتِ أذْكَى مَنْ قَابَلْتُ مِنَ النِّسَاءِ ..

لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْكِ طَوِيلاً ، وهَأنَذا أظْفَرُ بكِ ..

ثمَّ خَطَبَ الْفَتاةَ منْ أبيهَا ، فَتَبَسَّمَ وقَالَ لَهُ :

ـ لَمْ نَتَقَابَلْ إلا الآنَ ، ولَمْ أعْرِفْ عَنْكَ وعَنْ قَبِيلَتِكَ شَيْئًا ، وتَطْلُبُ منِّى أنْ أُزَوِّجَكَ ابْنَتِى علَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ؟!

فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ سَتَعْرِفُنِى منْ شِعْرِى يَا عَمَّاهُ .. أنَا الْقَائِلُ :

قِفَا نَبْكِ منْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمنْزِلِ

بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ



فقَالَ الأَبُ والْفَتَاةُ :

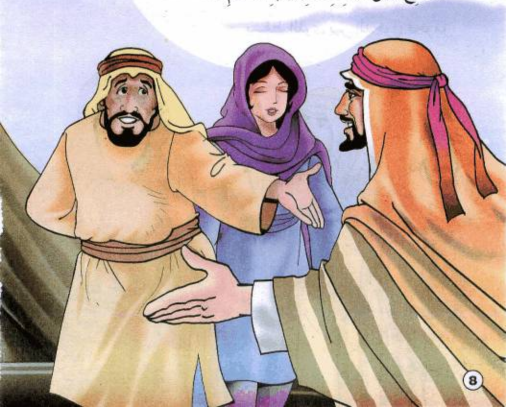
ـ أنْتَ امْرُؤُ الْقَيْسِ .. لَيْسَ فِى الْعَرَبِ مَنْ يَجْهَلُ شِعْرَكَ ..

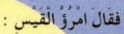
فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ إذَنْ فأَنْتَ تَقْبَلُ أنْ تُزَوِّجَنِى ابْنَتكَ ؟!

فقَالَ الأَبُ :

ـ لَنْ أَجِدَ لابْنَتِى زَوْجًا خَيْرًا مِنْكَ ، وإنْ كُنْتُ حَتَّى الآنَ لَمْ أسْتَطِعْ تَبَيُّنَ مَلامِحِكَ بِسَبَبِ الظَّلامِ ..





فقالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ سَوفَ تَرانِى عِنْدَمَا آتِى إلَيْكَ فِى وَضَحِ النَّهَارِ ، لأسُوقَ إليْكَ مَهْرَ ابْنَتِكَ ..

فَوَافَقَ الرَّجُلُ عَلَى أنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَه ، وَوَافَقَ امْرُؤُ الْقَيْسِ عَلَى أنْ يَسُوقَ إلَيْهَا مَهْرَهَا مائَةً مِنَ الإبِلِ وعَشْرَةً مِنَ الْعَبِيدِ وعَشْرَ جَوَارٍ وَثَلاثَةَ أفْرَاسٍ ، فقَالَت الْفَتَاةُ :

ـ قَبِلْتُكَ زَوْجًا ، وَلَكِنْ لِى شَرْطٌ ..

فقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

ـ اشْرُطِى كمَا تَشَائِينَ ..

فقَالَت الْفَتَاةُ :

ـ سَأَسْأَلُكَ لَيْلَةَ الزَّوَاجِ عَنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ ، فإِنْ عَرفْتَهَا أتْمَمْتُ الزَّواجَ ، وإِلا فَلاَ ..

فَوَافَقَ امْرُؤُ الْقَيْسِ عَلَى شَرْطِهَا ، وانْصَرَفَ كُلٌّ مِنهُمْ لِحَالِ سَبِيلِه ..

ومَضَتْ عِدَّةُ أَيَّامٍ ..

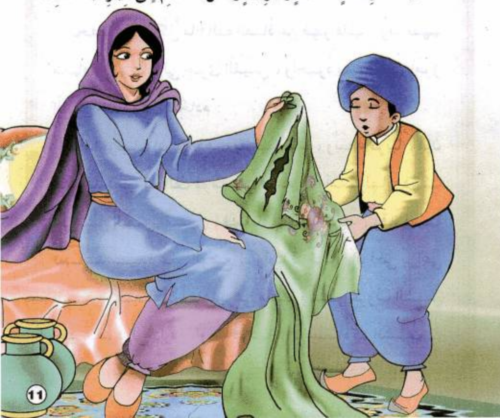
وأرَادَ امْرُؤُ الْقَيْسِ أنْ يُهْدِىَ خَطِيبَتَهُ هدَايَا ، فأَحْضَرَ زِقًّا كَبِيراً ومَلأَهُ سَمْنًا ، وأحْضَرَ زِقًّا آخرَ ومَلأَهُ عَسَلاً ، وأحْضَرَ حُلَّةً ثَمِينَةً ، وقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْ خَدَمِه :

ـ احْمِلِ السَّمْنَ والْعَسَلَ والحُلَّةَ إِلَى دِيَارِ خَطِيبَتِى .. واحْرِصْ عَلَى أَنْ تَرْتَدِىَ أَجْمَلَ ثِيَابِكَ حَتَّى تُشَرِّفَنِى .. فارْتَدَى الْخَادِمُ أجْمَلَ ثِيَابِه ، ورَكِبَ فرَسًا .. ثُمَّ سَارَ قَاصِداً دِيَارَ الْفَتَاةِ ..

وفِى الطَّرِيقِ نَظَرَ الخَادِمُ إِلَى الحُلَّةِ الْفَاخِرَةِ فَأَعْجَبَتْهُ ؛ فَلَبِسَهَا وَوَاصَلَ سَيْرَهُ ، فَاعْتَرَضَهُ فِى طَرِيقِه شَجَرٌ ذُو أَشْوَاكٍ ،

فَتَعَلَّقَتْ بِهِ الْحُلَّةُ ، وانْشَقَّتْ نِصْفَيْنِ ، فَطَوَاهَا وَوَاصَلَ سَيْرَهُ .. وَمَرَّ الخَادِمُ فِي طَرِيقِهِ بِبَعْضِ الْبَدْوِ ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ مَاءً لِيَشْرَبَ وَيَسْقِيَ جَوَادَهُ ، فَلَمَّا طَالَبُوهُ بِالأَجْرِ فَتَحَ زِقَّ السَّمْنِ وَزِقَّ الْعَسَلِ ، وأَعْطَاهُمْ مِنْهُمَا ، فَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنْ نَسَبِهِ ، قَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ ابْنُ عَمٍّ امْرِئِ الْقَيْسِ ..

وبَعْدَ رِحْلَةٍ شَاقَّةٍ وَطَوِيلَةٍ وَصَلَ الخَادِمُ إِلَى دِيَارِ الْفَتَاةِ ،



وسَأل عَنْ أَبيهَا فوجَدَ أنَّهُ خَارجَ الْقَبيلَة ، وكَذَلكَ لَمْ يَجِدْ أُمَّهَا ولا أخَاهَا ، فَقَدَّمَ الْهدَايَا إِلَى الجوَارِى والخَدَمِ ، فَحَمَلُوهَا إِلَى خَيْمَة الْفَتَاة ، فَلَمَّا رَأَت الردَاءَ مَشْقُوقًا ، والسَّمْنَ والْعَسَلَ نَاقصَيْن ، خَاطَبَت الخَادمَ منْ خَلف الخَيْمَة قَائلَةً :

ـ أَبْلغْ مَوْلاكَ أنَّ أَبى ذَهَبَ يُقَرِّبُ بَعيدًا ، وَيُبْعدُ قَريبًا .. وأَنَّ أُمِّى ذَهَبَتْ لتَشُقَّ النَّفْسَ نَفْسَيْن .. وأنَّ أَخِى يُرَاعِى الشَّمْسَ ، وأنَّ سَمَاءَكُم انْشَقَّتْ ، وأنَّ وعَاءَيْكُمْ نَضَبَا ..

فَحَفظَ الخَادمُ كُلَّ مَا قَالَتْهُ الْفَتَاةُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، وَلَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ .. ثُمَّ عَادَ إِلَى امْرِئِ الْقَيْس ، وأَخْبَرَهُ بِه ، فَفَهِمَ امْرُؤُ الْقَيْسِ مَعْنَاهُ وقَالَ للْخَادمِ :

ـ أَمَّا قَوْلُهَا : إنَّ أَبى ذَهَبَ يُقَرِّبُ بَعيدًا ، وَيُبْعدُ قَريبًا ، فإنَّ أَبَاهَا قَدْ ذَهَبَ يُحَالفُ قَوْمًا عَلَى قَوْمه .. وَأَمَّا قَوْلُهَا : ذَهَبَتْ أُمِّى تَشُقُّ النَّفْسَ نَفْسَيْن ، فَمَعْنَاهُ أنَّ أُمَّهَا قَابلَةٌ ، وقَدْ ذَهَبَتْ تُسَاعدُ سَيِّدَةً عَلَى الْوَضْع .. وأَمَّا قَوْلُهَا : إنَّ أخِى يُرَاعِى الشَّمْسَ . فَمَعْنَاهُ أنَّ أخَاهَا يَرْعَى مَاشيَةً وَيَنْتَظرُ غُرُوبَ الشَّمْسِ حَتَّى يَعُودَ إِلَى دَاره .. وأَمَّا قَوْلُهَا : إنَّ سَمَاءَكُمُ انْشَقَّتْ ..

فَمَعْنَاهُ أنَّ الحُلَّةَ الَّتى أرْسَلْتُهَا مَعَكَ قَدْ انْشَقَّتْ .. وأمَّا قَوْلُهَا : إنَّ وِعَاءَيْكُمْا نَضَبَا ، فَمَعْنَاهُ أنَّ السَّمْنَ والْعَسَلَ قَدْ نَقَصَا ، فاصْدُقْنِى بِمَا حَدَثَ ..

فقالَ الخَادِمُ :

ـ لَقَدْ ارْتَدَيْتُ الحُلَّةَ فى أثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، فاشْتَبكَتْ بِشَجرٍ فيه شَوْكٌ فانْشَقَّت .. ونَزَلْتُ بِحَىٍّ مِنْ أحْيَاءِ الْعَرَبِ طَلبًا للْمَاءِ ، وسَألُونى عَنْ نَسَبِى ، فأخْبَرْتُهُمْ أنَّنى ابْنُ عَمِّكَ ، وفَتَحْتُ زِقَّ السَّمْنِ وزِقَّ الْعَسَلِ ، فأطْعَمْتُهُمْ مِنْهُمَا ..

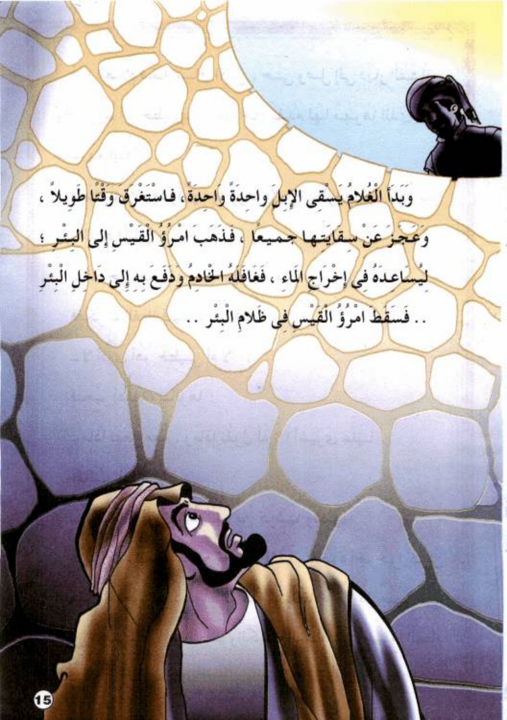


فَهَدَّدَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ قَائلاً :

ـ الوَيْلُ لَكَ إنْ عُدْتَ لِمِثْلِهَا ..

ومنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ تَأَكَّدَ امْرُؤُ الْقَيْسِ مِنْ ذَكَاءِ خَطِيبَتِهِ وحُسْنِ فِرَاسَتِهَا ، وجَهَّزَ الإبِلَ المائَةَ الَّتِى اتَّفَقَ أنْ يُقَدِّمَهَا مَهْرًا لِفَتَاتِهِ ، وَخَرَجَ مَعَ خَادِمِهِ يَسُوقُ الإبِلَ قَاصِدَيْنِ دِيَارَهَا ..وفى الطَّرِيقِ مَرَّا بِبِئْرِ مَاءٍ ، فَتَوَقَّفَ امْرُؤُ الْقَيْسِ ، حَتَّى يستريحَا ، وأَمَرَ خَادِمَهُ أنْ يَسْقِيَ الإبِلَ ..





وَبَدَأَ الْغُلامُ يَسْقِى الإِبِلَ واحِدَةً واحِدَةً، فاسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَوِيلاً ،
وَعَجَزَ عَنْ سِقَايَتِها جَمِيعًا ، فَذَهَبَ امْرُؤُ الْقَيْسِ إلى الْبِئْرِ ؛
لِيُسَاعِدَهُ فِي إِخْرَاجِ المَاءِ ، فَغَافَلَهُ الخَادِمُ وَدَفَعَ بِهِ إِلى دَاخِلِ الْبِئْرِ
.. فَسَقَطَ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِى ظَلامِ الْبِئْرِ ..

أمَا الْغُلامُ فَقَدْ سَاقَ الإبلَ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى دِيَارِ الْفَتَاة ، وأخْبَرَهُمْ أنَّهُ خَطِيبُهَا ، وأنَّهُ جَاءَ يُقَدِّمُ لَهَا مَهْرَهَا الَّذى اتُّفِقَ عَلَيْهِ مَعَ أَبِيهَا ..

فَلَمَّا رَأى أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَأَخُوهَا الإبلَ تَهَلَّلُوا فَرحًا ، وَذَهَبُوا إِلَى الْفَتَاة قَائِلِينَ :

ـ لَقَدْ جَاءَ خَطِيبُكِ وَمَعَهُ مَهْرُكِ ، مِائَةٌ مِنَ الإِبلِ ..

فَفَكَّرَتِ الْفَتَاةُ قَلِيلاً .. ثُمَّ قَالَتْ :

ـ لا أدْرِى أهُوَ خَطِيبِى أمْ لا ..

فَتَحَيَّرَ أهْلُهَا وسَألُوهَا :

ـ مَاذَا نَفْعَلُ مَعَهُ ، وَمَاذَا نَقُولُ لَهُ ؟ ! أشِيرِى عَلَيْنَا ..

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ :

ـ انْحَرُوا بَعِيرًا ، وأَطْعِمُوهُ مِنْ كِرْشِهَا وذَنَبِهَا ..

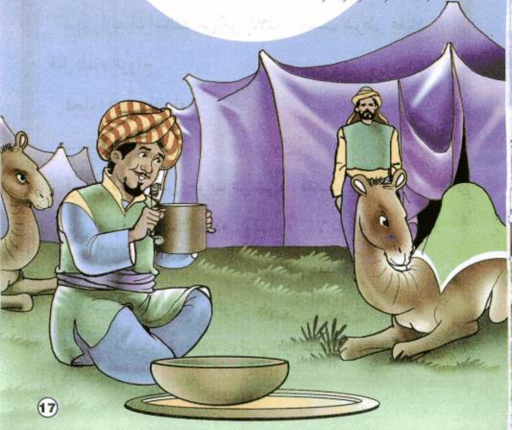
فأمَرَ وَالِدُ الْفَتَاة بِذَبْحِ بَعِيرٍ ، فَلَمَّا سَلَخُوهُ أخْرَجُوا كِرْشَ الْبَعِيرِ وطَبَخُوهُ مَعَ ذَيْلِه .. ثُمَّ قَدَّمُوهُ لِلْخَادِمِ ، فَأَكَلَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ ، وَلَمْ يَسْألْ عَنِ اللَّحْمِ والكَبِدِ والسَّنَامِ .. فأخْبَرُوا الْفَتَاة

بذَلِكَ ، فَقَالَتْ :

ـ اسْقُوهُ لَبَنًا حَامِضًا ..

فقَدَّمُوا لَهُ وِعَاءً مَلِيئًا باللَّبَنِ الحَامِضِ ، فَرَفَعَهُ الخَادِمُ عَالِيًا وشَرِبَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، فأَخْبَرُوا الْفَتَاةَ بذَلِكَ ، فَقَالَتْ :

ـ افْرِشُوا لَهُ فِرَاشًا خَارِجَ الخَيْمَةِ عِنْدَ الْمُخَلَّفَاتِ الَّتِى خَرَجَتْ مِنْ بَطْنِ الْبَعِيرِ ؛ لِيَنَامَ هُنَاكَ اللَّيْلَةَ ..



فَفرشُوا لَهُ حَيْثُ أشَارَتْ ، فَنَامَ الخَادِمُ ولَمْ يَعْتَرِضْ ، فقَالَت الْفَتَاةُ لِنَفْسِهَا :

ـ لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ امْـرأَ الْقَـيْسِ .. مَـا هَذَا إلا خَـادِمٌ أرْسَلَهُ امْـرُؤُ الْقَـيْسِ ، أوْ أنَّهُ قَـتَلَ امْـرأَ الْقَـيْسِ وجَـاءَ يَنْتَـحِلُ شَخْصِيَّتَهُ ..

وفِي الصَّبَاحِ أرْسَلَتْ إلَيْهِ قَائِلَةً :

ـ إنِّي أُرِيدُ أنْ أسْأَلَكَ عَنْ أُمُورٍ ثَلاثَةٍ ، حَسْبَ شَرْطِي عَلَيْكَ ، قَبْلَ إتْمَامِ الزَّوَاجِ ..

فجَاءَ الخَادِمُ وقَالَ لَهَا :

ـ سَلِي عَمَّا شِئْتِ ..

فسَأَلَتْهُ فلَمْ يُحْسِن الجْوَابَ عَنْ شَيْءٍ ، فَقَالَتْ :

ـ اقْبِضُوا عَلَى هَذَا الخَادِمِ ، وقَيِّدُوهُ .. لا بُدَّ أنَّهُ قَتَلَ سَيِّدَهُ وَجَاءَ يَنْتَحِلُ شَخْصِيَّتَهُ ..

فَتَعَجَّبَ أبُوهَا وأهْلُهَا وقَالُوا :

ـ كَيْفَ عَلِمْتِ أنَّهُ الخَادِمُ ، ولَيْسَ امْرأَ الْقَيْسِ ؟!



فَقَالَتْ :

ـ لَقَدْ اخْتَبَرْتُهُ فِى أُمُورٍ ثَلاَثَةٍ ، كَشَفَتْ شَخْصِيَّتَهُ ..

فَقَالُوا لَهَا :

مَا هِىَ ؟!

فَقَالَتْ :

ـ أطْعَمْتُهُ كِرْشَ الْبَعِيرِ وَذَنَبَهُ فَأَكَلَهُمَا وَلَمْ يَعْتَرِضْ .. لوْ كَانَ سَيِّدًا لَرَفَضَ وَطَالَبَنَا بِلَحْمِ الْبَعِيرِ وَكَبِدِهِ وسَنَامِهِ ..

فقَالُوا :

ـ صَدَقْت ..

فقالَتْ :

ـ وسَقَيْتهُ اللَّبَنَ الحَامِضَ ولَمْ يعْتَرِضْ ، ولَوْ كَانَ سَيِّدًا لطَالَبَ باللَّبَنِ الحُلْوِ ..

فقَالُوا :

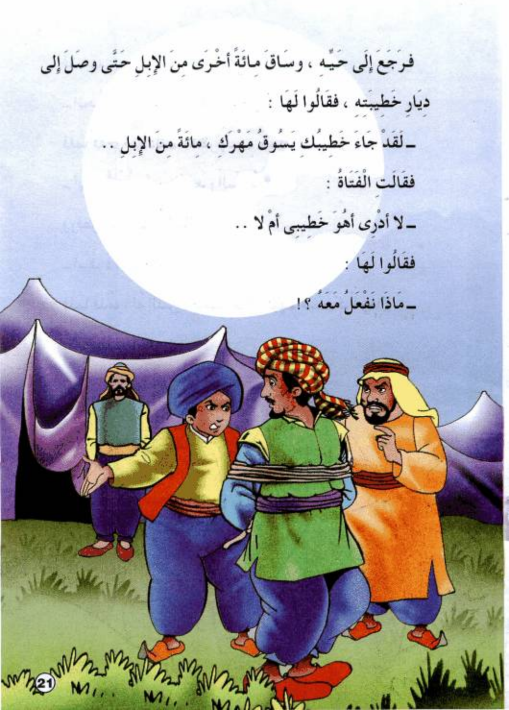
ـ حَقًّا ..

فقالَتْ :

ـ وفرَشْتُ لَهُ عنْدَ الْقُمامَةِ فنَامَ ولَمْ يعْتَرِضْ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ خَادمٌ قَدْ تَعَوَّدَ هَذه الأَشْيَاءَ فِي المأْكَلِ والمشْرَبِ والنَّوْمِ ، وهِي أشْيَاءٌ يأْنَفُ منْهَا السَّادَةُ ..

فقَبَضُوا عَلَى الخَادِمِ وقَيَّدُوهُ ، انْتظَارًا لمَا تُسفِرُ عَنْهُ الأَحْدَاثُ ، وحَتَّى تَتَّضِحَ لَهُمُ الحَقِيقَةُ ..

أمَّا مَا كَانَ منْ حَالِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، فإنَّ قَوْمًا مَرُّوا بِهِ وهُوَ فِي البِئْرِ ، وسَمِعُوهُ وهُوَ يصْرُخُ ويَسْتَغِيثُ ، فأخْرَجُوهُ منَ الْبِئْرِ ،



فرَجَعَ إلَى حَيِّه ، وسَاقَ مائةً أخْرَى منَ الإبلِ حتَّى وصَلَ إلى دِيَارِ خَطِيبَتِه ، فقَالُوا لَهَا :

ـ لَقَدْ جَاءَ خَطِيبُكِ يَسُوقُ مَهْرَكِ ، مائَةً منَ الإبلِ ..

فقَالَت الْفَتَاةُ :

ـ لا أدْرِى أهُوَ خَطِيبِى أمْ لا ..

فقَالُوا لَهَا :

ـ مَاذَا نَفْعَلُ معَهُ ؟!



فقَالَتْ :

ـ انْحَرُوا لَهُ بَعِيراً ، وأَطْعِمُوهُ مِنْ كرشِهِ وَذَنَبِهِ ..

فَلمَّا قدَّمُوا لَهُ ذَلِكَ ، نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُسْتَنْكِراً وقَالَ :

ـ أيْنَ اللَّحْمُ وأيْنَ الْكَبِدُ والسَّنَامُ ؟!

ورَفَضَ أنْ يأكُلَ ، فقَالت الْفتَاةُ :

ـ اسْقُوهُ لَبَنًا حَامِضًا ..

فلَمَّا قَدَّمُوا لَهُ اللَّبَنَ الحَامِضَ نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُسْتَنْكِراً وقَالَ :

ـ أيْنَ اللَّبَنُ الحُلْوُ ؟!

ورَفَضَ أنْ يَشْرَبَهُ ، فَقَالَتِ الْفَتَاةُ :

ـ افرشُوا لَهُ عِنْدَ الْقُمَامَةِ الَّتِى خَرَجَتْ مِنْ كِرْشِ الْبَعِيرِ حتَّى يَنَامَ لَيْلَتَهُ ..

فلمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَضَ أنْ يَنَامَ ، وَقَالَ لَهُمْ :

ـ بلْ افرِشُوا لِى فَوْقَ رَبْوَةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وانْصِبُوا فوْقَهَا خَيْمَةً ..

فلمَّا أخْبَرُوهَا بذَلكَ تَبَسَّمَتْ وقَالَتْ :

ـ أحْضِرُوهُ .. هَذَا هُوَ زَوْجِى ..

فَلمَّا حَضَرَ امْرُؤُ الْقَيْسِ قَالَتْ :

ـ الآنَ تَتِمُّ مَرَاسِمُ الزَّوَاجِ ..



فَقَالَ لَهَا :

ـ هلْ نَسيتِ شَرْطَكِ ؟! أَلَمْ تَقُولِى إنَّكِ سَتَخْتَبِرِيننى فِى أُمُورٍ ثَلاثَةٍ ، حتّى يَتِمَّ الزَّوَاجُ ..

فضَحِكَتِ الْفَتَاةُ وَقَالتْ :

ـ لَقَد اخْتَبرْتُكَ فِيها بالفِعْلِ .. هَلْ نَسيتَ اخْتِبَارَ الأكْلِ والشُّرْبِ والنَّوْمِ .. لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَطِيبى الحَقِيقىُّ منْهَا ، وكَشَفْتُ زَيْفَ الخَادمِ منْهَا ..

فَضَحِكَ امْرُؤُ الْقَيسِ وَقَالَ :

ـ أنْتِ لَسْتِ ذَكِيَّةً وَفَطِنَةً فَقَطْ ، بَلْ أَنْتِ دَاهِيَةٌ مِنْ دَوَاهِى الْعَرَبِ .. لَقَدْ صَدَقَ حَدْسِى حِينَ رَأَيْتُكِ ..

وتَمَّتْ مَرَاسِمُ الزَّوَاجِ ، أَمَّا الخَادمُ فَقَدْ لَقِىَ جَزَاءً أَسْوَدَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِه ..

(تَمَّت)

رقم الإيداع : ١٦٠٣٤ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : ٦- ٩٨٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧